

## شرح كتاب (الرد على الجهمية) لعثمان بن سعيد الدارمي - رحمه الله.

## شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (٢٧)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[قال: حدثنا محمد بن بشار العبدي، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله رضي الله عنه قال: { إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات صلصلة كجر السلسلة على الصفوان، قال: فيفزعون، يرون أنه من أمر الساعة (( حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ )) [سبأ: ٢٣] }.

قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله عز وجل إذا تكلم بالوحي سمعوا مثل سلسلة الحديد على الصفوان، فخرروا سجداً، (( حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ )) [سبأ: ٢٣] ثم يتزل الشيطان إلى الأرض، فيزيد فيها سبعين كذبة {.

نعم، أما الحديث الأول حديث عبد الله فهو صحيح، وأما الثاني فضعيف، ولكن قد توافرت الروايات بما يدل على صحة ذلك، وهو أن الله سبحانه وتعالى إذا تكلم بالوحي سمعت الملائكة كجر سلسلة على صفوان، يعني أنه صوت ينفذ فيهم حتى أنهم يجرون غشياً، يلحق قلوبهم غشي من هول ونفاد هذا الصوت فيهم، ومن المعلوم أن الصوت القوي العظيم الذي يكون له نوع نفاذ وينشأ عنه غشي، حتى عند غير الملائكة، عند المخلوقين من شدته، فهذا أمر يقع للملائكة حين يسمعون كلام الله سبحانه وتعالى، فيكون أول من يفيق جبريل عليه السلام، فيوحي الله تعالى إليه بما شاء، فلا يمر جبريل بملاً من الملائكة إلا سأله:

ماذا قال ربنا؟ فيقول جبريل: قال الحق، فتقول الملائكة: قال الحق، ولهذا جاءت آية سبأ بلفظ الجمع (( حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ )) [سبأ: ٢٣]، فزع عن قلوبهم يعني كشف عنها الفزع، وذهب عنهم الروع الذي سبب لهم الغشي، (( حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا )) [سبأ: ٢٣] أي الملائكة (( مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ )) [سبأ: ٢٣]، وإنما عبر بضمير الجمع (قالوا الحق) لأنه يسألون جبريل فيقول لهم قال الحق، فتجيبه الملائكة قال الحق، فعبر عن مجموعهم بهذا، فقال: (( قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ )) [سبأ: ٢٣]، وتأملوا كيف أن الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية بعد أمر الشفاعة، وهذا ملحظ دقيق ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، لأنه لما أفنى جميع متعلقات المشركين (( قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ )) [سبأ: ٢٢] نفى الملك استقلالاً ومشاركة ومعاونة، بقي أمر الشفاعة، قال: (( وَلَا تَفْعَلْ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ )) [سبأ: ٢٣]، فحتى الشفاعة لا يملكها هؤلاء المشرك بهم، ثم أتبعها بذكر هذه الحال التي تلحق الملائكة، وكأنما يقول لهم: إذا كان أعظم مخلوقات الله وهم الملائكة، يلحقهم هذا الكرب العظيم، وهذا الغشي من جراء سماع كلام الرب، وهذه ضعوتهم وخضعتهم لله سبحانه وتعالى فكيف تتعلقون أحد سواه؟ فمن دونهم من باب أولى ممن اتخذوهم أولياء وشفعاء، كالأشجار والأحجار والصالحين وغير ذلك، فلم يبق للمشركين متعلق. نعم.

[قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن فروة بن نوفل، قال: كنت جارا لخباب رضي الله عنه، فخرجنا معه يوماً إلى الجمعة فأخذ بيدي، فقال: يا هناه تقرب إلى الله ما استطعت، فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه {].

ما شاء الله، هذا من فقهه، فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه، وكأنما يغيره بالإكثار من قراءة القرآن، فالقرآن كلام الله عز وجل، فتقرب إليه بتلاوته. نعم.

[قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني الليث، قال: حدثني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله، عن حديث عائشة حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله منه، وبعض حديثهم يصدق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى من بعض، زعموا

أن عائشة رضي الله عنها قالت: لشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله بها [ .

الله أكبر، رضي الله عنها، هذه منزلتها في نفسها لكن الله تعالى رفع قدرها، قالت: لشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، يعني ماذا كانت ترجو؟ ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله بها، يعني أنها رضي الله عنها في قصة الإفك ما كانت تطمع ولا تطمح أن يتزل الله تعالى فيها قرآنا، وغاية ما كانت ترجو أن يري الله نبيه صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئه مما أُلصق بها، لكن الله تعالى رفع قدرها بقرآن يُتلى في مساجد المسلمين إلى يوم القيامة، فبرأها الله أعظم براءة، وشرق بهذه البراءة المنافقون قديماً وحديثاً، المنافقون قديماً حينما قالوا فيها ما قالوا من الإفك، وحديثاً فيما تنقله الرافضة إلى يومنا هذا في شأن عائشة، وقد قال الله عز وجل: (( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ )) [النور: ١١] وتوعدهم الله سبحانه وتعالى أشد الوعيد، كيف وهؤلاء الحمقى من الروافض اللئام يقولون ذلك فيها بعد أن برأها الله بقرآن يتلى، فمن وقع في الإفك في ذلك الحين أعذر من هؤلاء الروافض اللئام، لأن أولئك تلقوه بألسنتهم وقالوا بأفواههم جرياً على كلام الناس، ومع ذلك جاءهم من التقرير والتوبيخ والوعيد ما جاءهم، فكيف وقد برأها الله وزكاها؟ يصر هؤلاء اللئام على النيل منها والطعن فيها رضي الله عنها، لكن أنى لهم هذا.

والحديث أو هذه اللفظة من كلام عائشة هي في الصحيح بحمد الله في البخاري، وإن كان الإسناد الذي ساقه المؤلف فيه ما فيه، لأنه من رواية عبد الله بن صالح وهو كاتب الليث، ومعروفة طريقة ابن شهاب رحمه الله، أنه ربما جمع الرواية في الإخباريات عن جمع منهم وقال: يصدق بعضهم بعضاً. نعم.

[قال: حدثنا نعيم بن حماد، قال: حدثنا ابن المبارك، قال: أنبأنا يونس، عن الزهري، عن طارق بن مخاشن، عن أبي هريرة، { أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بلديغ، فقال: لو قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضره } .

حدثنا الجرجسي يزيد بن عبد ربه، قال: حدثنا بقية، عن الزبيدي، عن الزهري، عن طارق بن مخاشن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: { أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلديغ لدغته عقرب، فقال: لو قال: أعوذ بكلمات الله التامات، لم يلدغ، أو لم تضره }.

نعم، أصل هذا الحديث في مسلم، وروايته الدارمي يعني فيها ضعف، لكن الحديث ثابت بحمد الله، وفيه هذا الدعاء النافع، الذي ينبغي أن يعتصم به كل مؤمن ليدفع الله عنه السوء، أعوذ بكلمات الله التامات، فمن استعاذ بهذه الكلمات أعاده الله تعالى، وهذا دليل مما استدل به أهل السنة على أن القرآن ليس مخلوقاً، على أن كلام الله ليس مخلوقاً، إذ لا يمكن أن يستعاذ بالمخلوق، فكلمات الله سبحانه وتعالى صفة من صفاته، فلذلك استعاذ بالصفة، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فمن قال ذلك لم يضره شيء، يعني إما أنه لا يلدغ أو لو قُدِّر أنه لدغ لم يضره ذلك. نعم.

[قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، { أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع: أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه، ومن شر عبادته، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون }].

نعم، رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مشهورة، وأحسن ما يقال فيها أن إسنادها حسن، هذا أفادنا أنه يعلمهم من الفزع، والفزع أمر ينتاب الإنسان، فإذا قال هذه الكلمات، إذا قال هذا الدعاء فغن الله تعالى يحفظه، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ومن شر عبادته ومن همزات الشياطين وأن يحضرون. نعم.

[قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا جرير، عن محمد بن إسحاق، بإسناده، إلا أنه قال: { من غضبه، وعقابه، وشر عبادته }].

قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا جرير، عن منصور بن المعتمر، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: { كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ حسناً وحسيناً، فيقول: أعيدكما بكلمات الله التامة، من شر كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، وكان يقول: كان أبوكما يعوذ بها إسماعيل وإسحاق }].

ما شاء الله، الحديث في البخاري، وفيها العمل بهدي الأنبياء السابقين، (( أَوْلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ أَقْتَدِهِ )) [الأنعام: ٩٠]، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن أباهما إبراهيم كان يعوذ بهذه العوذة إسماعيل وإسحاق، { أعيدكما بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة }، فينبغي للآباء والأمهات أن يعوذوا أولادهم بها، ولهذا فإن تعويد الصبيان إما أن يكون على هيئة الدعاء كما ههنا، بأن يقول الأب أو الأم في شأن أبنائه أعيدك بكلمات الله التامة.. الخ، أو أن يحصنها بالورد، بأن يجمع كفيه وينفث فيهما ثم يمسح عليهم، هذا إذا كان الصبي لا يميز ولا يمكن أن يقرأ بنفسه.

أما ما يفعله بعض الناس من أن يقرأ أوراد الصباح والمساء، وينوي نية أنها تبلغ مثلاً بنيه وهم يعيدون أو تبلغ أهله فهذا لا يستقيم، فيما أن يدعو لهم دعوة مطلقة بالحفظ والصون ونحو ذلك، أو أن يكونوا بين يديه فيجمع كفيه فينفث ويمسح عليهم، وأما هكذا أن ينوي بقلبه أنه عوذة له ولبنيه فهذا لا أصل له والله أعلم. نعم.

والمراد بالهامة هي يعني مردة الشياطين أو ما يؤذي من الهوام، وأما العين اللامة فهي ما يصيب الإنسان من العائن، وهي حالة تكيف شيطاني تقع لبعض النفوس الخبيثة بسبب الحسد، فيقع في نفس الحاسد تكيف شيطاني وحقد وحسد فيختلط به فعل الشيطان فيحصل من جرائه ضرر، وإنما يُعبر بالعين لما يجري من هذا العائن من حدة النظر إلى المعيون، فيحصل من جراء ذلك الإصابة، فهي أحياناً تقتل وأحياناً تُمرض، وقد تكون نفسية وقد تكون بدنية، فينبغي للإنسان أن يستعيد ويعوذ بهذا الدعاء. نعم.

[قال: حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، قال: حدثنا محمد بن شعيب، عن عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن أبي ذر رضي الله عنهما قال: { قلت: أي النبيين أولاً يا رسول الله؟ قال: آدم، قلت: أونيياً كان؟ قال: نعم، مُكَلِّمًا، خلقه الله بيده، وكلمه قُبْلًا، فقال: (( اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ )) [البقرة: ٣٥] }.

قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: أنبأنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان }.

نعم، هذا حديث صحيح، وفيه دلالة على أن الله تعالى يكلم كل مؤمن يوم القيامة مباشرة، ليس بينه وبينه ترجمان، والترجمان هو الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة، فالله سبحانه وتعالى يكلم كل أحد من المؤمنين ويحاسبه ليس بينه وبينه ترجمان، وهذا إما أن يكون عرضاً أو مناقشة، فإن كان عرضاً كان ذلك حساباً يسيراً، وإن كان مناقشة كان موجب ذلك العذاب، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: { ومن نوقش الحساب هلك }، أما الحساب اليسير فهو الذي دل عليه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيح مسلم { إن الله يدني عبده المؤمن يوم القيامة ويضع عليه كنفه، يقول: أتعرف ذنب كذا يوم كذا؟ فيقول: أي ربي، حتى يظن أنه قد هلك، فيقول الله تعالى له: إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم }، فهذا كلام رضا، يرضى به الله على عبده المؤمن ويستتره ويعافيه من ذنبه. ثم قال.

[قال: حدثنا أبو عمر الحوضي، قال: حدثنا شعبة، عن علي بن مدرك، عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير، عن خرشة بن الحر، عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: { ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزيكهم، ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، أو الفاجر }].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا معمر، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الله].

حدثنا معن.

[قال: حدثنا معن، قال: حدثنا عبد الله بن عبيد الله أبو أويس، عن قرثع الغطفاني، عن عقبة بن بشير بن المغيرة بن بشير الأسدي، قال: سألت محمد بن علي بن الحسين الهاشمي، قال: قلت: يا أبا جعفر من أول من تكلم بالعربية؟ قال: إسماعيل بن إبراهيم النبي، وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة، قلت: فما كان كلام الناس قبل ذلك؟ قال: العبرانية، قلت: فما كان كلام الله الذي أنزله على رسله وعباده ذلك الزمان؟ قال: العبرانية].

نعم، ذكر أن هذا الأثر ضعيف، وإنما ساقه لما ورد فيه، فما كان كلام الله، ففيه إضافة الكلام إلى الله عز وجل. نعم.

[قرأت على أبي اليمان، قلت: أخبركم شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أنه أخبره جزء بن جابر الخثعمي، أنه سمع كعب الأحبار يقول: لما كلم الله موسى بالألسنة كلها قبل لسانه، طفق موسى يقول: أي رب، ما أفقه هذا، حتى كلمه آخر الألسنة بلسانه بمثل صوته، يعني بمثل لسان موسى، وبمثل صوت موسى].

وهذا أيضاً ضعيف، وفيه نكارة لمن تأمله. نعم.

[حدثنا محمد بن عثمان التوخمي أبو الجماهر، قال: حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، في قوله تعالى: (( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ )) [فصلت: ٤١] بالقرآن، (( لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ )) [فصلت: ٤١] أعزه الله لأنه كلامه (( لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ )) [فصلت: ٤٢] وهو إبليس، لا يستطيع أن ينتقص منه حقاً، أو يزيد فيه باطلاً.

قال أبو سعيد رحمه الله: فهذه الأحاديث قد رويت، وأكثر منها ما يشبهها، كلها موافقة لكتاب الله في الإيمان بكلام الله، ولولا ما اخترع هؤلاء الزائغة من هذه الأغلوطات والمعاني يردون بها صفات الله، ويبدلون بها كلامه، لكان ما ذكر الله من ذلك في كتابه كافياً لجميع الأمة، مع أنه كافٍ شافٍ إلا لتأولٍ ضلالٍ].

إلا لتأولٍ ضلالٍ.

[إلا لتأولٍ ضلالٍ أو متبع ريبة].

نعم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن صنيع المصنف رحمه الله أنه يبدأ بسياق الأدلة من كتاب الله عز وجل، ثم ما صح من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يسلف بالآثار، ثم هاهو يذكر بعض المنسوب إلى مسلمة أهل الكتاب، ليبين تطابق الأدلة وتوافرها على إثبات هذه الحقيقة، وهو أن القرآن كلام الله، وأن الله تكلم به حقيقة، وأنه تكلم بحرف وصوت، وأنه متعلق بمشيئته يتكلم متى شاء كيف شاء إذا شاء، وأن ما أحدثه هؤلاء المبتدعة من

الأقوال الباطلة، إما من زعمهم بأن الله لا يتكلم، أو أنه خلق كلاماً في غيره وهو عبارة أو حكاية، أو أن كلامه هو المعنى القديم القائم في نفسه، أو غير ذلك مما أحدثوه، أن ذلك كله من الباطل والأغلوطات. والمراد بالأغلوطات ما يُغالط به الحق، من أنواع الكلام الباطل، وقد ذكر معنى يعني رائقاً عظيماً وهو أن الأصل في تقرير الحق ما جاء به الكتاب والسنة، وأنه لا مُحوج للإضافة إليهما، والتعليق عليهما، إذ أن مجرد قراءة نصوص الكتاب والسنة كافٍ وافٍ في تحصيل المراد، وأنه ما حمله هو وغيره من أئمة السلف على المجادلة في هذا الأمر إلا ما أحدثه هؤلاء المبتدعة من هذه الأغلوطات، وإلا لكان مجرد قراءة الآيات والأحاديث كافياً في الدلالة على الحق، وشافٍ لما في النفوس، لكن الذي يحتاج إلى المجادلة بالحق متأول ضلال أو متبع ريبية، فإن متأول الضلال ومتبع الريبة لا بد من رد باطله، إذ أنه تارة يكون قد لبس عليه، فيكون هذا من أسباب نجاته، وتارة يكون هو يريد أن يلبس على غيره فيُجمع بالحق، قال الله عز وجل: (( فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ )) [آل عمران: ٧]، فهذا هو مرادهم. ثم إنه قال.

[فحين رأينا ذلك أَلَّفْنَا هذه الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين من بعدهم، ليعلم من بقي من الناس أن من مضى من الأمة لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله عز وجل، لا يعرفون له تأويلاً غير ما يتلى من ظاهره أنه كلام الرحمن تبارك وتعالى، حتى نبغ هؤلاء الذين اقتربوا لرد كتاب الله عز وجل، وتعطيل كلامه وصفاته المقدسة بهذه الأغلوطات، التي لو ظهرت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما كان سبيل من يظهرها بينهم إلا كسبيل أهل الردة، أولها هذه الكلمة الملعونة التي فارقوا بها جميع أهل الصلاة، فقالوا: كلام الله مخلوق ] .

نعم، في قوله رحمه الله: فحين رأينا ذلك أَلَّفْنَا هذه الآثار، المراد بالتأليف ههنا الجمع، يعني المؤلفات بين المتشابهات، وهذا أمر لجأ إليه السلف رحمهم الله لما أحدث المبتدعة ما أحدثوه، وإلا فقد كانوا يحدثون بالأحاديث مخلوطة، يحدثون بأحاديث في أصول الاعتقاد، وفي الأحكام، وفي الآداب والرقائق، فلما قال من قال من الباطل، آلفوا بين ما يكون من باب واحد بغرض الرد عليهم، ومن أول من صنع ذلك من المتقدمين



حماد بن سلمة ومن كان في طبقتة، وحين سئلوا عن ذلك قال: رأينا العلم يُخرج، يعني أن إظهار هذه الأحاديث في الصفات من إظهار العلم، وأنه لا يجوز كتمانها.